



السنوسي محمد السنوسي - مصر



عبد الحليم عويس .. دليل عمل للنهضة

الحديث عن أستاذنا الدكتور عبد الحليم عويس المفكر والمؤرخ والأديب والداعية الذي رحل عن دنيانا بجسده مؤخرًا.. حديث ذو شجون ومتشعب الموارد والاتجاهات.. لأننا - بحق - أمام رجل من رجالات الإسلام، ودعائه الكبار؛ ذوي الإسهامات المتنوعة، والجهود المتشابكة، والاهتمامات المتسعة باتساع الإسلام وشمول قيمه وتشريعاته، ويتنوع التحديات التي تعترض طريقه ومسيرته..

والأدب، وتختلط العاطفة بالنظرة الثاقبة، وتتكئ على أدب الإسلام، وتقف (تحت راية القرآن) في وجه الزحف الأحمر والأصفر والأسود..! أنكتب عنه شاعرًا.. قَرَضَ الشعر في بواكير حياته ويحفظ منه الكثير، ثم انحاز إلى مدرسة النثر.. وهي المدرسة التي وصفها يومًا - في مَعْرِضِ تحليله لأسلوب الرافعي - بأنها الأقدر على إبراز حقائق الإسلام، وعلى إجماع خصومه بالحجج والبراهين..! أنكتب عنه داعية.. عرفته المنابر والصحف

ولذلك ليس غريبًا أن نتساءل: أنكتب عنه مؤرخًا.. حيث (التاريخ والحضارة الإسلامية) مجال تخصصه العميق.. وحيث إسهاماته فيهما ذات العمق والنظرة الكلية المقاصدية السُّنِّيَّة الخلدونية..! أنكتب عنه أديبًا.. وهو صاحب البيان المشرق، والقلم السيال، واللفظ الجزل، والعبارة المكثفة الأخاذة، والامتداد النابه لمدرسة (الرافعي) أديب الإسلام الأكبر.. تلك المدرسة التي يتعاقب فيها الفكر



وهديتها، والخروج من النفق المظلم الذي غاصت فيه أمتنا منذ قرون حين غاب عنها الوعي بـ«السنن الربانية» في النهوض والتقدم، على النحو الذي فصله العلامة ابن خلدون في «المقدمة»، وأصل به ما أسماه «علم العمران»..

لكن للأسف لم يقطع هذا العلم شوطاً كبيراً بعد ابن خلدون، الذي بدا وكأنه «فلتة» في زمانه وما تلاه من قرون!!

وفي القرن الأخير، كان لعلامة الجزائر مالك بن نبي الفضل في إنهاض الهمم وشحن العقل المسلم من جديد بأهمية الإدراك الفعّال لـ «شروط النهضة» و«مشكلات الحضارة»، وإنجاز «رسالة المسلم في القرن العشرين».

وكان لأستاذنا الدكتور عبد الحليم عويس جهد كبير متميز في هذا المجال الفكري الذي لم يأخذ حظه اللائق من الدراسة والمتابعة.. فكتب «تفسير التاريخ علم إسلامي»، و«الأزمة الحضارية الراهنة ودرس الأندلس»، و«دراسات

في تاريخ الحياة الإسلامية.. رؤية حضارية»، و«التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون».. وغير ذلك الكثير.

كان - رحمه الله - دائم التركيز على فقه الواقع وإدراك الأولويات وعدم الخوض في معارك مفتعلة حول أمور اجتهادية، الطرفان فيها مأجوران.. ودعا - بدلاً من ذلك - إلى الانتباه للمخاطر الحقيقية التي تهدد المسلمين جميعاً.

كان يرى ضرورة وصل العلوم الإسلامية بعضها ببعض

والمجالات وقاعات المحاضرات.. خطيباً مفوهاً، ولسان صدق يصدر بالحق والإيمان..١٩

أنكتب عنه فقيهاً.. وهو (الفقيه) في مدرسة الفهم والفكر والتدبر والوعي..١٩ بل حتى الفقه بمعناه الاصطلاحي له فيه موسوعة استطاعت أن تسهم في إعادة الحياة إلى الفقه بعدما أماتته عصور التراجع الحضاري.. وتحولت فيها تشريعات الإسلام إلى اصطلاحات وألفاظ لا روح فيها..!!

أنكتب عنه إنساناً.. له من الأخلاق العالية حظ عظيم، وسهم وافر.. يشهد بأخلاقه كل من اتصل به عن قرب..١٩

نعم.. نكتب عنه كل ما مضى وزيادة.. ولسنا مغالين في حبه.. ولسنا مؤاخذين عن ذلك أيضاً..!! وهل يستطيع أحد أن يؤاخذنا بحب عالم ومفكر وأديب وداعية.. وهب لله حياته وفكره وقلمه، ونذر للإسلام جهده ووقته؟

لقد كان د. عبد الحليم عويس منتمياً أشد ما يكون الانتماء إلى الأمة الإسلامية قلباً وقالباً..

يطوف أرجاءها.. ويمد جسور التعاون والتآلف بين أبنائها.. داعياً إلى بذر بذور الإيمان، وإعطاء (التربية الإسلامية).. فكراً وعاطفة وسلوكاً.. الأولوية في مشروع التغيير..

ومع هذا التنوع والتشعب الذي نجد أنفسنا أمامه عند الحديث عن أستاذنا الدكتور عبد الحليم عويس، إلا أننا يمكن أن نصف - بشيء من الإيجاز - أعماله وجهوده بأنها تمثل (دليل عمل) للنهضة والإقلاع الحضاري من جديد، واستئناف مسيرة الشهود على الإنسانية



أوروبا وأمريكا، داعيةً وخطيباً ومحاضراً، ينسج شبكات من العلاقات الإنسانية على أرقى مستوى، ويمد جسوراً من التعارف والتناصح بين الشعوب الإسلامية.

ولك أن تعجب أنه وهو المحاضر الأكاديمي والباحث والمفكر، كان له أسلوب في الدعوة والوعظ يفوق المتخصصين في هذا المجال، حتى ظنه بعض من سمعه أستاذاً بجامعة الأزهر! وكانت تسجيلاته في إذاعة القرآن الكريم بمصر تلقى اهتماماً واسعاً، لاسيما حلقاته عن شرح (أسماء الله الحسنى) التي بلغت مائة وعشر حلقات من حلقات

برنامج «الإيمان والحياة»، الذي كان يُذاع صباحاً مع الإعلامي الراحل د. فوزي خليل، صاحب الصوت المميز... وقد تمنى عليه كثيرون أن يُخرجها في كتاب، لكن القدر عاجله..

* * *

أعتقد أنه بات من الضروري الاستفادة من جهود أستاذنا الدكتور عبد الحليم عويس وغيره من المفكرين والدعاة، وتحويل هذه (الأفكار) والأطروحات إلى

(دليل عمل) وخطط وبرامج.. لنثبت من جديد قدرة الإسلام، ثقافةً وشريعةً وحضارةً، على الاستجابة للتحدي، وتلبية طموحات الإنسان وأشواقه عبر الزمان والمكان.. وما ذلك على الله ببعيد..

نَمْ يا أستاذنا قريير العين.. ولئن فَدَكَ أبنائك وأحبائك، وسكبوا عليك الدمع مدراراً.. فإن فيما تركته من علم نافع بعض العوض عن فقدك.. ولنا لقاء إن شاء الله تعالى مع صحبة خير الدعاة و«إمام حضارة المسلمين» محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.. ■

وعدم تفتيتها إلى جزر منعزلة؛ لأن ذلك يترتب عليه ترسيخ النظر الجزئي الذري للقضايا والمشكلات، وعدم تكوين العقلية المقاصدية السُنَّية التي تهتم بالغايات والحكم من التشريع والتوجيهات.. مستفيداً في ذلك من صحبته الروحية والعلمية ومعايشته لشيخنا العلامة محمد الغزالي.. وأكرمَ بها من صحبة ومعايشة..

إضافة لذلك، دعا - رحمه الله - إلى الاهتمام بـ «السنن الربانية» التي تحكم سير الأمم والحضارات في مراحل النهوض أو التراجع، معتبراً أن تلك السنن هي الوجه المكمل لـ «السنن الكونية» التي

تنظم الكون في معادلات وقوانين ثابتة لا تتغير.

لم يكتفِ بالدعوة النظرية البحثية إلى وحدة الصف ونبذ الخلافات، بل مارس ذلك عملياً.. فكان قريباً من كل التيارات والجماعات الإسلامية، يسعى لرأب الصدع بينها، ويؤمن بأن وسيلة إصلاح ما تقع فيه من أخطاء أن نخاطبها من «الداخل» ومن موضع الناصح الأمين لا من موضع «المراقب»، فضلاً عن المتعالي أو الشامت.

بل دعا - رحمه الله - إلى مدِّ الجسور مع المفكرين الذين وجهوا سهام النقد للواقع العربي المأزوم، وللحضارة الغربية وأصابوها في مقتل.. أمثال د. محمد جابر الأنصاري، ود. جلال أحمد أمين.. ورأى ضرورة الإفادة من جهودهم.. وأملَ فيهم خيراً أن ترسو سفينتهم الفكرية على شاطئ الإسلام..

تجسدت في أستاذنا (عالمية الإسلام) حين طاف معظم بلاد العالم الإسلامي من الهند إلى المغرب، إلى

